مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(عبرانيين ١١: ٢٤– ٢٦، ٣٢ –٣٩)

يا إخوةُ بالإيمان موسى لمَّا كَبُرَ أبى أن يُدعى ابنًا لابنةِ فِرعون* مُختارًا الشَّقاء معَ شعبِ اللهِ على التمتُّعِ الوقتي بالخطيئة* ومُعتَبِرًا عارَ المسيح غنًى أعظمَ من كُنوز مِصر. لأنَّهُ نَظَرَ إلى الثواب* وماذا أقولُ أيضًا. إنَّهُ يَضيقُ بي الوقتُ إن أخبرتُ عن جدعونَ وباراقَ وشمشونَ ويفتاحَ وداودَ وصموئيلَ والأنبياءِ* الذينَ بالإيمانِ قَهَروا الممالكَ وعملوا البِرَّ ونالوا المواعِدَ وسَدُّوا أفواهَ الأسود* وأَطفأُوا حِدَّةَ النارِ ونَجَوْا من حَدِّ السيفِ وتقَوَّوْا من ضُعفٍ وصاروا أشدَّاءَ في الحربِ وكَسَروا معسكَراتِ الأجانب* وأخذت نساءٌ أمواتَهنَّ بالقيامةِ وعُذِّبَ آخرونَ بتوتير الأعضاءِ والضربِ ولم يقبلوا بالنجاةِ ليَحصلوا على قيامةٍ أفضل*

أحد الأرثوذكسية

«أيها السيد انك وأنت محصور بطبيعتك الإلهية قد تنازلت أن تتجسد في آخر الأزمنة وتكون محصوراً لأنَّك باتخاذك الجسد اتخذت أيضاً جميع خواصه، فلذلك نتمم رسم صورتك ونصافحه بالنظر إلى الأصل، متسامين نحو محبتك ومرتشفين منه نعمة الأشفية، تابعين تقليدات الرسل الإلهية» (من غروب الأحد الأول من الصوم).

هذا مما نرتله عشية الأحد الأول من الصوم المسمَّى «أحد الأرثوذكسية» أو «أحد المستقيمي الرأي» منذ العام ٨٤٣، وفيه نقيم تذكاراً جامعاً للآباء القديسين الذين دافعوا عن الإيمان القويم لما دافعوا عن عقيدة إكرام الأيقونات. فكما تقول الترتيلة أعلاه فإن الإله الكامل قد تنازل وتجسد أي صار إنساناً كاملاً، لذا نحن نستطيع أن نرسمه ونسجد له من خلال الأيقونة. الأيقونة تعبّر عن حقيقة التجسد، حقيقة ظهور الله بالجسد من مريم العذراء بواسطة الروح القدس. فمَن يرفض الأيقونة يرفض حقيقة التجسد الإلهي والخلاص. عقيدة إكرام الأيقونات أتت بعد عدَّة قرون من الصراعات الخريستولوجية حول شخص المسيح وطبيعتيه ومشيئتيه الإلهية والبشرية، أتت لتعلن ان الذي نرسمه في الأيقونة هو الإله الكامل الذي تنازل وصار إنساناً كاملاً وحلّ بيننا، أي انها أعلنت بشكل واضح وختمت بختم الروح إيمانها بالرب يسوع الإله المتجسد الذي يجمع في شخصه طبيعتين ومشيئتين إلهية وبشرية، من دون نقصان ومن دون امتزاج أو تشوش ومن دون أن تبتلع أي واحدة الأخرى. لذا كان من اللائق أن يسمَّى هذا الأحد بأحد الأرثوذكسية.

العدد ١٠/٢٠٠٩
الأحد ٨ آذار
الأحد الأول من الصوم
(أحد الأرثوذكسية)
تذكار أبينا البار ثاوفيلكتس المعترف أسقف أفدوكية
اللحن الخامس
إنجيل السَحَر الخامس

قبل العام ٨٤٣ كان يُعيّد في الأحد الأول من الصوم للأنبياء الذين سبقوا المسيح وهيأوا الطريق لتجسده، لأنه لائق في أول أحد من الصوم الكبير المقدَّس الذي يقودنا نحو الفصح المقدس، نحو خلاصنا، أن نعيّد لمن هيأ الشعب لقبول الإله المتجسد الذي تأنس وصُلب ومات وقام في اليوم الثالث لأجل خلاصنا،

وآخرون ذاقوا الهُزْءَ والجَلْدَ والقيودَ أيضًا والسِّجن* ورُجِموا ونُشِروا وامتُحنوا وماتوا بحدِّ السيف. وساحوا في جلودِ غنمٍ ومَعزٍ وهم مُعوَزون مُضايَقون مجهودون* (ولم يكنِ العالمُ مستَحقًا لهم). وكانوا تائهين في البراري والجبال والمغاور وكُهوف الأرض. فهؤلاء كلُّهم مشهودًا لهم بالإيمانِ لم ينالوا الموعِد* لأنَّ اللهَ سبقَ فنظرَ لنا شيئًا أفضلَ أن لا يكمُلوا بدوننا.

الإنجيل

(يو ١: ٤٤–٥١)

في ذلك الزمان أراد يسوع الخروج إلى الجليل فوجد فيلِبُّسَ فقال لهُ اتبعني* وكان فيلِبُّسُ من بيتَ صيدا من مدينة إندراوسَ وبطرس* فوجد فيلِبُّسُ نَثَنَائيلَ فقال لهُ إنَّ الذي كَتَبَ عنه موسى في الناموس والأنبياءِ قد وجدناهُ وهو يسوعُ ابنُ يوسف الذي من الناصرة* فقال لهُ نَثَنَائيلُ أمِنَ الناصرةِ يمكنُ أن يكونَ شيءٌ صالح* فقال لهُ فيلِبُّسُ تعالَ وانظرْ* فرأى يسوعُ نَثَنَائيلَ مقبلاً إليهِ فقال عنهُ هوذا إسرائيليٌّ

وهو نفسه الإله الذي نصوّره في الأيقونات ونسجد له من خلال الأيقونة. هذا ما تعبّر عنه صلوات هذا اليوم: «افرحوا أيُّها الأنبياءُ المُكرَّمون الذين نظمتم شريعة الله حسناً وظهرتم بالإيمان عُمداً غير متزعزعة ولا متقلقلة لأنكم ظهرتم وسائط لعهد المسيح الجديد وإذ انتقلتم إلى السموات توسَّلوا إليه في سلامةِ العالم وخلاص نفوسنا» (من صلاة غروب الأحد الأول من الصوم).

كيف صارت الكنيسة في العام ٨٤٣ تعيِّد في هذا الأحد لتثبيت عقيدة إكرام الأيقونات؟ تفصيل ذلك ان الكنيسة تعرضت منذ العام ٧٢٦ لإضطهاد كبير استمر لأكثر من مئة عام حُطمت خلاله الأيقونات والأواني الكنسيَّة والملابس الكهنوتية كما اضطُهد كل مَن أيَّد إكرام الأيقونة. هذه الفترة عُرفت بحرب الأيقونات وقد امتدت على مرحلتين. المرحلة الأولى ابتدأت عام ٧٢٦ مع مرسوم الإمبراطور لاون الأيصوري، الذي حاول تقوية دعائم مملكته عبر استمالة المسلمين واليهود الذين كانوا يعتبرون إكرام الأيقونات نوعاً من العبادة الوثنية، فمَنَع السجود للأيقونات كما أَمَرَ برفع الأيقونات إلى أماكن عالية لا يستطيع المؤمنون الوصول إليها. ثم أمَرَ عام ٧٢٧ بإنزال أيقونة مكرّمة لدى أهل القسطنطينية. ساند الملك الجيش وبعض الأساقفة وعارضه بشدَّة البطريرك جرمانوس القسطنطيني الذي أُزيح عن كرسيه عام ٧٣٠ بقرار ملكي وأُتلفت الأيقونات والجدرانيات وأُحرقت رفات القديسين والملابس الكهنوتية المزينة بالأيقونات.

استمرت الحرب ضد الأيقونات والتأم مجمع هرطوقي لمحاربة الإيمان القويم (عام ٧٥٤) حرم الكثيرين ومن بينهم القديس يوحنا الدمشقي. رفضت الكنيسة قرارات المجمع فاستشهد الكثيرون ونفي البعض وحوَّل الجيش الأديار إلى ثكنات ونزح أكثر من خمسين ألف راهب إلى إيطاليا.

بقي الوضع على حاله إلى أن سمح الله بأن تصير الإمبراطورة إيريني وصية على ابنها القاصر قسطنطين السادس. فدعت إلى مجمع مسكوني (السابع) عُقد عام ٧٨٧ في نيقية حضره عدد كبير من البطاركة و٣٥٠ أسقفاً أعادوا الإعتبار للأيقونة ولمكرّميها.

عام ٨١٣ جدَّد محاربو الأيقونات نشاطهم مع الإمبراطور لاون الخامس الأرمني وتجدَّدت الإضطهادات حتى تولت الإمبراطورة ثيودورة الحكم كوصية على ابنها ميخائيل الثالث. فدعت إلى مجمع عام ٨٤٣ أعاد الاعتبار للمجمع المسكوني السابع وكرَّس قراراته. وفي الأحد الأول من الصوم في ١١ آذار سنة ٨٤٣ نظم البطريرك ميثوذيوس المعترف زياحاً كبيراً في القسطنطينية شاركت فيه الإمبراطورة وابنها وحمل الكهنة والمؤمنون الأيقونات المقدسة وعلَّقوها في الكنائس والمنازل. ومنذ ذلك التاريخ سُمي هذا الأحد أحد الأرثوذكسية، وفي هذا اليوم نقيم في الكنائس زياحاً للأيقونات تذكاراً لهذا الحَدَث العظيم.

صلاتنا أن يكون كل مؤمن أيقونة حيَّة تعكس نور محبَّة الله للبشر لكي نستحق أن نعاين نور القيامة الساطع من القبر الفارغ.

حقًّا لا غِشَّ فيهِ* فقال لهُ نَثَنائيلُ مِنْ أينَ تعرفني. أجاب يسوعُ وقال لهُ قبل أن يدعُوَك فيلِبُّسُ وأنت تحتَ التينةِ رأيتُك* أجابَ نَثَنَائيلُ وقال لهُ يا معلّمُ أنت ابنُ اللـه أنتَ مَلِكُ إسرائيل* أجابَ يسوعُ وقال لهُ لأنّي قلتُ لك إنّي رأيتُكَ تحت التينة آمنتَ. إنَّك ستُعاين أعظمَ من هذا* وقال لهُ الحقَّ الحقَّ أقولُ لكم إنَّكم مِنَ الآن ترونَ السماءَ مفتوحةً، وملائكةُ الله يصعدون وينزِلون على ابن البشر.

تأمل

«فهؤلاء كلّهم مشهوداً لهم بالإيمان لم ينالوا الموعد» (عب ١١: ٣٩).

سمّى الله في العهد القديم البعض صدّيقين وأصدقاء لأنهم فعلوا ما كان بإمكانهم أن يفعلوه وحققوا لأنفسهم فضيلة وعدلاً حسب قدرتهم. ولم يكن عدلهم أهلاً بخلاصهم. فالمخلّص لم يكن بعد قد ظهر. لو كان عدلهم كاملاً تاماً لكان هؤلاء في «يد الله وفي سلام» (حكمة ٣: ٢ و٣). وبما انهم لم يتمكنوا من تحقيق هذا الكمال انتهوا بعد الموت إلى الجحيم. لكن السيد يسوع وهب التبرير الحقيقي للإنسان وحقق

ذوقوا وانظروا

ما أطيب الربّ

«ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب» آية نردّدها طوال فترة الصوم الكبير، في خدمة القداس السابق تقديسه، قبل المناولة المقدّسة. وهي ترتبط بطريقة الحياة التي على المؤمنين أن يحيوها في الكنيسة المقدّسة؛ فالصوم الكبير يمثّل صحراء هذا العالم التي نحيا فيها، والتي فيها ندرك انه لا يمكننا أن نعيش بدون الطعام الحقيقي الذي هو جسد ربّنا ومخلّصنا يسوع المسيح ودمه المقدّسين.

في فصل الإنجيل الذي يُتلى في هذا الأحد، أحد الأرثوذكسية، نسمع أنّ الرب يسوع وجد فيلبُّس فدعاه لكي يتبعه، كما أنّ فيلبُّس وجد نثنائيل وأخبره ان الرب يسوع هو من كتب عنه موسى في الناموس والأنبياء، وهو ابن يوسف الذي من الناصرة. إلاّ أن نثنائيل لم يصدّق في البدء، خاصة أنّه يعرف الناموس والأنبياء ويعرف أنّه من الصعب أن يخرج شيء صالح من الناصرة. فما كان من فيلبُّس إلاّ أن أجابه بكلمتين تختصران كل البشارة بالرب يسوع، دون حاجة إلى إقناعه: «تعال وانظر».

في هذا الصوم المبارك تدعونا الكنيسة المقدّسة دعوةً مماثلة، ولكن ليس فقط أن ننظر بل أن نذوق أيضاً، لأنّ الرب بتجسّده أراد أن يُتحدنا به، وكان هذا من خلال إعطائه إيّانا جسده ودمه الكريمين. هكذا تكون هذه الدعوة دعوةً للإلتصاق بالرب. لأنّه في المناولة المقدّسة نفتح أعيننا لنعاين المسيح كما هو حقيقةً، كما حدث مع تلميذي عمواص، اللذين عرفا الرب يسوع عندما كسر الخبز (لوقا ٢٤: ٢٣–٣٥).

إذاً هناك ارتباط جوهري بين «النظر والذوق»، فنحن عندما نسمع البشرى الخلاصيّة بالرب يسوع المسيح الذي تجسّد ومات من أجل خطايانا ودُفن وقام في اليوم الثالث من أجل خطايانا (١ كور ١٥: ٣–٤)، يُصوَّر المسيح أمامنا من خلال هذه البشرى فننظره ذهنيًّا ونعرفه ونعبّر عن قبولنا له من خلال عبادتنا إيّاه على أنّه بالحقيقة مخلّص العالم، كما فعل الأعمى (يو ٩: ٣٥–٣٩) وكما فعل أهل السامرة (يو ٤: ٤٢). ولكن لا تكتمل معرفتنا هذه، التي هي ذهنيّة أولاً، إلاّ بالاتّحاد به، بالالتصاق به من خلال تناولنا جسده ودمه المقدّسين.

من ناحية أخرى وضعت لنا الكنيسة المقدّسة في الصوم الكبير خدمة القداس السابق تقديسه، الذي هو فعليًّا خدمة مناولة، لتؤكّد على ناحية أخرى لعلاقتنا وارتباطنا بربّنا يسوع المسيح، وهي أنّه لا يمكننا أن نحيا دون أن نتناوله، أن نتذوّقه. فالصوم الكبير هو اختبار لحياة البريّة التي ترد في الكتاب المقدّس، والتي اختبرها شعب الله عندما خرج من أرض مصر، أرض العبوديّة، وسار مدّة أربعين سنة في البريّة، أي في الصحراء. البريّة بمفهوم الكتاب المقدّس هي مكان الموت. إنها المكان الذي لا مؤهّلات للحياة فيه، لذلك يختبر الله شعبه في البريّة ليرى هل يدركون حقًّا أن

المصالحة مع الله ولم يكن بإمكان أي إنسان أن يقدّم لنا مثل هاتين الهديتين اللتين لا تثمنان لأنه «لم يصعد أحد إلى السماء إلاّ الذي نزل من السماء، أعني ابن الإنسان الذي كان في السماء» (يوحنا ٣: ١٣).

قبل ذبيحة السيد على الصليب لم تكن هناك مغفرة للخطايا. لم يكن انعتاق من حكم الجحيم، فهل كان بالإمكان التكلّم آنذاك عن التبرير؟ قبل المصالحة مع الله كانت رُبُط الخطيئة غير محلولة وبقيت. كان الإنسان يموت ولا سبيل لوقوفه في صف أصدقاء الله ولا مجال ليتوَّج بإكليل المجد الإلهي. لم تكن لحمل الفصح اليهودي الذي كان يُقدّم كضحية، لم تكن له القوة التي تخلّص الإنسان. فلو كانت لهذه الرسوم والرموز والصور في العهد العتيق القوة لتهب الغبطة المرغوبة لما كان للحقيقة والخلاص اللذين وهبهما الله من داع وإذا كان البشر قبل الذبيحة الصليبية أصدقاء لله وأبراراً فلماذا أراد الرب بموته أن يقضي على العداوة ويهدم الحائط المتوسط بين الله والبشر الذي أوجدته الخطيئة، وأن يهب الخلاص ويوطد السلام؟

القديس نقولا كاباسيلاس

حياتهم من حياته هو، أي هل يدركون أنه هو الذي يعطيهم الحياة حيث لا حياة. الغاية إذاً كانت أن يتعلّم الشعب أنّ الله وحده هو الذي يعطيهم الطعام والشراب، من خلال إرساله لهم الخبز من السماء (خروج ١٦) ومن خلال إخراج الماء من الصخرة وتحلية المياه المرّة (خروج ١٥). وقد احتاج الشعب أربعين سنة ليدرك حقيقة هذا الأمر. كما أنّ الرب نفسه أعطانا مثالاً عندما صام هو نفسه أربعين يوماً في البريّة ليؤكّد لنا أن «ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكلّ كلمة تخرج من فم الله» (متى ٤: ١–١١؛ أنظر أيضاً تثنية ٨: ١–٣).

وإذا كان شعب الله قد احتاج إلى أربعين سنة من السلوك في البرية حتى يدرك هذا الأمر فقد وضعت الكنيسة لنا الصوم مثالاً لهذه المسيرة سنويًّا لتذكّرنا بأنّ مصدر حياتنا الوحيد هو الرب يسوع الذي يعطينا نفسه طعاماً وشراباً.

عندما نسلك إذاً في حياتنا هذه على مثال الرب ندرك أنّ ما من مصدر حقيقيّ لحياتنا إلاّ الرب يسوع نفسه. فكما ذاق خبرة البريّة عندما صام أربعين يوماً مظهراً لنا بأنّه ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله، علينا نحن أيضاً أن نختبر هذه المسيرة حين نصوم فننقطع عن الطعام مؤكّدين إيماننا بأنّنا نحيا بالرب يسوع فنرتشف كلمته الإلهية المحيية ونتناول جسده ودمه الكريمين.

بالالتصاق بالرب يفتح لنا الرب أبواب رحمته ورأفته ومحبّته للبشر، فنذوق حلاوته التي تشملنا وتلفّنا فنهتف من كلّ قلوبنا، داعين إخوتنا للإلتصاق به: «ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب».

محاضرات

بمناسبة الصوم المبارك تدعو رعية كنيسة نياح السيدة – رأس بيروت لحضور سلسلة المحاضرات التالية التي ستقام عند الساعة السادسة والنصف من مساء كل إثنين من أسابيع الصوم المبارك في بيت الرعية، بعد صلاة النوم الكبرى:

+ الإثنين ٩ آذار ٢٠٠٩

«أهمية الصوم والصلاة في حياة المؤمنين» لقدس الارشمندريت يعقوب (جاك) خليل.

+ الإثنين ١٦ آذار ٢٠٠٩

«دور العذراء مريم في عمل الخلاص» لقدس الارشمندريت أفرام كرياكوس.

+ الإثنين ٢٣ آذار ٢٠٠٩

«الصلب والقيامة في مفهوم الكنيسة» للدكتور نقولا أبو مراد.

+ الإثنين ٣٠ آذار ٢٠٠٩

«الشهادة المسيحية في مجتمع متعدّد» لقدس الأب جورج مسوح.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb